٤ ـ الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

ولقد دفع الإسلام بمعتنقيه إلى العناية بفن العمارة بطريق غير مباشر ، إذ وصف الله فى كتابه العزيز جنات النعيم التى أعدها للمتقين من عباده وصفاً شيقاً لعله كان مبعث الوحى للمسلمين فيما شيدوه من عمائر : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، نعم أجر العاملين) ، (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ...) . فما كادوا يفتحون الأمصار ويرون ما بها من آثار حتى أقبلوا على البناء فأقاموا قصوراً شاهقة ، رشيقة التكوين ، موزونة الأبعاد ، منمقة الجدران ، ضاع معظمها ، ونفضت معاول علماء الآثار الأكفان عن بعضها ، وأفلت منها من يد الدهر ذلك القصر العظيم الذى شيده بنو الأحمر فى الأندلس ، وهو يعرفه الفسيحة الرائعة ، وقبابه الرشيقة العالية ، ومياهه الرائقة الجارية ، وجناته ذات القطوف الدانية ، خير شاهد على ما تقدم

تربيعات من الخزف كانت تزين باب سبيل من عهد السلطان قايتباى — نقلا عن فهرس متنيات دار الآثار العربية تأليف مكس هرتس بك

وما كان للمسلمين وقد سكنوا تلك القصور الرائعة ليقفوا بمساجدهم عند حد البساطة التى كانت عليها فى أيام الإسلام الأولى ، بل تذكروا قول الله عز وجل : (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) . فأقبلوا على المساجد يشيدونها ويزخرفونها إجلالاً لها وتعظيما لقدرها ، وبعداً بها عن مواطن الاستهانة إذا ما قورنت ببيوتهم أو بمعابد اليهود وكنائس المسيحيين . ولبس مسجد المدينة على يد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان حلة فخمة خلعت عليها يدُ صناع الحسن والبهاء ،

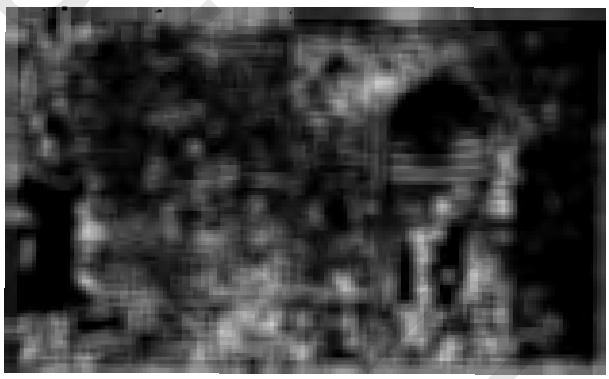

واجهة الجامع الأقمر بالقاهرة — من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

وأقبل عمر بن عبد العزيز على تزيينه وتحسينه ، وكذلك فعل خلفاء المسلمين من بعدهما ، وكذلك فعل الأمراء والأغنياء فى كافة العالم الإسلامى ، إذ رصعوا جوانبه بمساجد هى آية من آيات الجمال الفنى

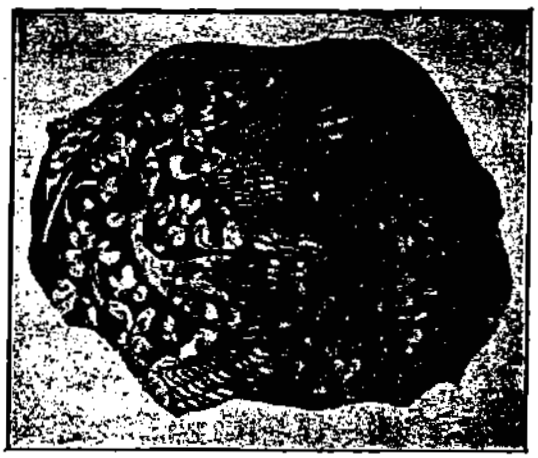

جزء من وعاء من الخزف — من رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية للمرحوم الأستاذ حسن الهوارى

ولقد كان من أثر ذلك أن سار المسلمون بفن العمارة إلى الأمام خطوات واسعة ، ويكفى أن نذكر فضلهم على العالم أجمع فى تحسين التقبية — ذلك العنصر المعمارى الذى يعتبر من المميزات

البارزة فى العمارة الإسلامية — فلقد ورث المسلمون القبة عن الأمم السابقة عليهم من مصريين وعراقيين ورومان ، ورثوها صغيرة ساذجة بسيطة محدودة الاستعمال ، وردوها إلى العالم كبيرة معقدة جميلة ، وارتقوا بها فى مدارج الرقى ، وتجلت فى إنشائها براعة بنائهم ، وحذق مهندسيهم ومهارة فنانيهم ، وأكثروا من استعمالها حتى لقد أصبحت من سمات للعمارة الإسلامية .

* * *

رأينا إذن كيف أثر الدين الإسلامى ببعض توجيهاته الإيجابية فى فنون الخط والزخرفة والعمارة ، وننظر الآن فيما كان لبعض التوجيهات السلبية لهذا الدين من تأثير جلى فى الفنون الجميلة ، فنلمس أثر هذه التوجيهات واضحاً فيما نجم عن تحريم الربا ، وعن كراهية التصوير ، وعن الطريقة التي نظم بها الإسلام استعمال الذهب والفضة والحرير

وليس هناك من شك فى أن تحريم الربا لم يكن له فى صميم الفن أثر مباشر ؛ ولكنه عاون على تقدمه ونضوجه وازدهاره وانتشاره . ذلك لأن هذا التحريم الذى جاء صريحاً فى القرآن

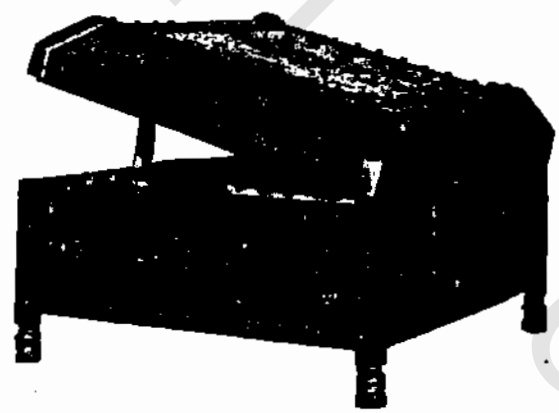

صندوق مصحف من خشب مصفح بالنحاس المكفت بالفضة والذهب — من تربة السلطان الغورى بالقاهرة — نقلا عن فهرس مقتنيات دار الآثار العربية لهرتس بك

« يمحق الله الربا . . . » قد دفع بالمسلمين إلى استخدام الفائض من أموالهم فى توفير وسائل الترف المباح فى حياتهم . ولقد فصلت كتب الأدب والتاريخ حياة البذخ التي كان يحياها الخلفاء والأمراء . ولا يتسع المجال هنا لتفصيل ذلك ، إنما يكفى أن نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر بذخ العباسيين فى بغداد و « سر من رأى » ، وبذخ الطولونيين فى مصر ، والفاطميين فى القاهرة ، وبذخ الأمويين فى قرطبة والزهراء . ولهذا البذخ أبعد الأثر فى تقدم الفنون الجميلة ، فالإقبال على اقتناء التحف والسخاء العظيم فى بذل الثمن لها بعث فى الفنانين والصناع روح

كرسى من النحاس الأصفر من مارستان قلاوون — نقلا عن فهرس مقتنيات دار الآثار العربية تأليف مكس هرتس بك

المنافسة فأخذوا يتبارون فى إتقان مصنوعاتهم ويغالون فى زخرفتها وتجميلها . ومتاحف الفن الإسلامى فى مصر وأوروبا وأمريكا غنية بالكثير من هذه التحف التى هى لسان صدق لما بلغه أجدادنا من المسلمين من رقى الفن وسمو الذوق .

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

حكم فى الجنحة ١٧٧٦ عسكرية وابلى سنة ٩٤٣ بحبس معوض بسطا القص ثلاثة شهور وبتغريمه ١٠٠ ج والنشر والتعليق والغلق لبيعه دمور مفتخر بأزيد من السعر المحدد